





المأسفار ؟ وأما قوله تعالى : «قالوا ربنا باعد بين أسفارنا» فإن المفسرين المسطحين يحملونه على ظاهره وأي عاقل يطلب بُعد

والمحقيقة أن هم لم يقولوا هذا إلا بالسنتهم وإنما هو نتيجة أعمالهم . ومن عمل عملاً يفضي إلى نتيجة لازمة فإن العربيّة تُعبّر عن تلك النتيجة بأنّها قوله ، وهذا نحو من أنحاء العربيّة الطريفة .

ولما زال الناس — على عاميتهم — يقولون فيمن عمل عملاً يستحقّ عليه الضرب أو القتل : أنّه يقول اقتلني أو اضربني . وهو لم يقل ذلك وإنما أعماله هي التي تدعوا إلى ذلك فالمعنى أن أعمالهم هي التي طلبت جزاءها اللأزم لها المرتبط بها ارتباط اللأزم بالملزوم ، والدال بالمدلول فكأن أسنتهم قالت ذلك ويؤيد هذا في القرآن كثير ومنه قوله تعالى : «سيجزيهم وصفهم» لأنّ الجزاء أثر للفعل فهو مرتبط به ولما يقولن قائل : إن القول يقع مدلوله في القلب حالاً ولما كذلك العمل فقد يتأخر جزاؤه طويلاً — لأنّ الجزاء إذا كان محقق الوقوع يصير كأنه حاصل بالفعل وكل عاقل يقطع بأنّه إذا وقع الظلم من الظالم فقد استحق عليه الجزاء ولما يلاحظ مسافة ما بين الظلم وجزائه .

وأما المّباعدة بين أسفارهم المتّي اقتضاها كُفرهم بأنعم الله ، فهي كناية عن محو المّمران وخراب المّقرى المتّي كانت ظاهرة مُتقاربة حتّى لا يبقى منها إلا القليل فيتباعد ذلك القليل بالطبع بخراب الكثير .

وأين المّمران المّتلحاحم الذي يرتاح فيه المّسافر لضبط المسافة وتعدّد المشاهد من المّخراب الذي يوحش فيزيد المسافة بُعداً على بُعد .

وملكة سبأ وعرشها العظيم ومُلكها وما قصّه القرآن من نبئها أعظم وأروع . فمُخبر سُلَيْمان عليه السّلام يقول عنها وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وما وصف عرش ملكة سبأ بالعظيم عند سُلَيْمان نبي الله الذي سخّر له الجن والريح — إلا وهو في نفسه عظيم .

أيّها الإخوان : إنّ في قصة ملكة سبأ في القرآن لدرسا تتفجّر منه ينابيع العظة والعبرة وإرشاد إلى ما تقوم به الأمم ولولا أن هذا الخطاب قد طال لآثرنا منها العبر وآثرنا بها العبر . ولكن لا يفتونا أن نختلس منها إشارات وما عليكم بعد ذلك إلا أن تتدبروا الآية فضيها نظام الشورى صريحاً لا مواربة فيه . وفيها أن بناء الأمم إنّما يعتمد على القوّة وقد تكون مؤنثة فلا بد أن يسندنها بأس شديد . وفيها أن الملأ هم الأشراف وأهل الرأي وهم أعضاء المجالس الشورى ولعلهم كانوا بالانتخاب المعرفي وهو نظام مدني ولعلهم كانوا بالانتخاب الطبيعي أو الوراثي وهو لا يكون إلا في الأمم المتّي شبت عن طوق البداوة .

ولعل من كُتابنا يتناول هذا المبحث بحث الانتخاب في الإسلام ولئن استرشد القرآن في هذا الباب ليُرشدنّه .

أيها الإخوان :

هذه مدنيّات ضخمة غبرت في هذه الأمة المتّي أة لها الله لحمل الرّسالة الإلهيّة إلى العالم ، وهذه بعض خصائص هذه الأمة المتّي هي أنّها لله للّن هوض بالعالم وإنقاذه من شُرور الوثنيّة وبنيّاتها ومن ضلال العبوديّة بجميع أصنافها ، وإن القوميّة العربيّة موضوع مُترامي الأطراف ، وليس من الممكن الإحاطة به في مثل هذا الخطاب .

وحسبي أن أكون قد خدمتها من هذه النّاحيّة المتّي هي خدمة للإسلام والقرآن وعليكم السّلام .

: مجلّة الشّهاب المجلّد الثالث المجلّد الخامس عشر (11) (1)